



الصفوة للدراسات الحضارية
Safwa Cultural Studies

سؤال النهضة في الفكر العربي(*)

تحرير: د. إياد محمد صبحي دخان

عصر النهضة العربي مجالٌ خصَّبُ للكتابات التاريخية والفكرية التي تؤرِّخ أفكاره وتنشِّط دراسة التفاعلات الفكرية والحركية التي تربطها بعصرنا الحاضر. وها هنا مقارناتٌ بين ثلاثة كتبٍ تناولت هذا الفكر، أعرضها بحسب تعاقبها الزمني:

1. الفكر العربي في عصر النهضة، لـ"ألبرت حوراني"، الصادر عام 1962م.
 2. الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة، لـ"علي المحافضة"، الصادر عام 1975م.
 3. عصر النهضة.. كيف انبثق؟ ولماذا أخفق؟ لـ"زكي ميلاد"، الصادر عام 2016م.
- تمتاز هذه الكتب بالتباعد الزمني واختلاف الطرح، الأمر الذي دعانا إلى عمل مراجعةٍ ومقاربيةٍ وعرض مقارناتٍ وملاحظاتٍ بينها.

1 الأول: الفكر العربي في عصر النهضة 1797-1939م

عُني هذا الكتاب بتاريخ الأفكار النهضوية للعرب من نهاية القرن الثامن عشر إلى منتصف القرن العشرين، صدر أول مرّة عام 1962م في بريطانيا تحت عنوان: (Arabic Thought in the Liberal Age 1798-1939)، ثم ترجمه "كريم عزقول" تحت عنوان: "الفكر العربي في عصر النهضة 1797-1939م"، ليصدر عام 1968م.

(*) مختصر من سلسلة مقالات للكاتب فوزي الغويدي، نشرت في موقع حكمة يمانية.

المقال الأول: <https://bit.ly/4b2037o>

المقال الثاني: <https://bit.ly/3S42Wf0>

المقال الثالث: <https://bit.ly/41Xj46F>

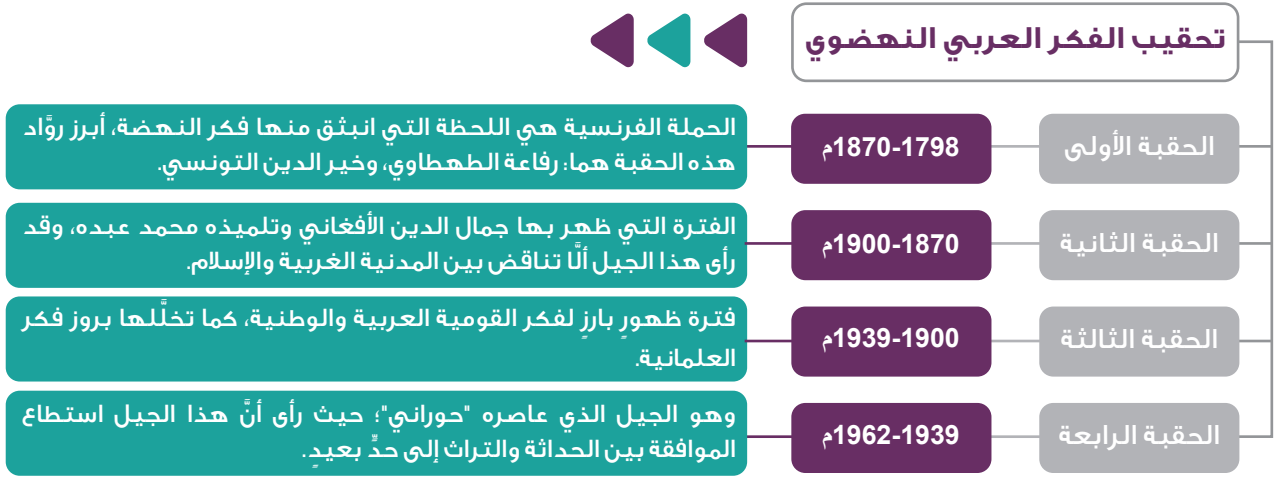
يمكن إجمال عمل "حوراني" في كتابه هذا في العناصر التالية:

1. توزع الكتاب على ثلاثة عشر فصلاً.
2. جعل الفصول الثلاثة الأولى مدخلاً تاريخياً لموضوع الكتاب الرئيسي.
3. بدأ بتاريخ انطباع الجيل الأول وما تلاه، مستخدماً كتب الرواد، مستشهداً بها ومحللاً لها.
4. تعرّض للأفكار العلمانية والقومية المصرية والعربية التي ظهرت في تلك المرحلة.
5. قدّم في الفصل الأخير قراءةً استشرافيةً للفكر العربي.

◀ أولاً: تحقيب الفكر العربي

1. ذهب "حوراني" في مطلع كتابه إلى القول بأن العرب أشدُّ شعوب الأرض إحساساً بلغتهم، في فرضيةٍ سلّم بها دون استدلالٍ.
2. حاول تبيان تطوّر الفكر العربي الذي وُلد بولادة النبي محمّد صلى الله عليه وسلم -والذي شهد تحوّلاً في حياة العرب- وظهور دولة الخلافة الراشدة وما أعقبها من دولٍ.
3. انتقل إلى الجانب الفكري بشقيه الشرعي والسياسي.
4. وضح مراحل جمع القرآن.
5. عرّج إلى مسألة نظام الحكم في الإسلام وغياب النصّ الصريح له.
6. تناول علم الجرح والتعديل الذي ساعد في تنقية السُّنة النبوية.
7. بيّن أنّ القرآن الكريم والسُّنة النبوية شكّلتا النظام المثالي عند المسلمين، وبيّن تأثير هذا النظام على الجانب الاجتماعي، وكيف أن الممارسات التعبدية وحدت الفكر الجمعي للمسلمين، وأن كل عبادة لها تأثيرها الخاص في المجتمع الإسلامي.
8. وضح أن دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم عالمية، وليست خاصةً.
9. أشار إلى أن الشريعة الإسلامية أصبحت نظام حياة لدى العرب، وأنها الروح المحرّكة للدولة الإسلامية، وأن الدول الإسلامية المتعاقبة انتهت بالدولة العثمانية، كانت الشريعة الإسلامية المحرك الأساسي لها.
10. لم يقدم تحقيباً للفكر من بداية ولادة الدولة الإسلامية، وصولاً إلى الدولة العثمانية، وإنما وضح جذور الفكر العربي وتطوّره عبر التاريخ.

11. حاول تحقيب الفكر العربي النهضوي من حملة "نابليون بونابرت" على مصر عام 1798م - وهي الفترة المعنية بها الدراسة-؛ حيث اعتبر أن الحملة الفرنسية على مصر أيقظت الفكر العربي من سباته الطويل وبعثته للنهوض، ومن هذه الفرضية انطلق في تحقيب الفكر العربي بطريقة غير مباشرة كالتالي:



ثانياً: الفكر العربي عبر رواده

1. الجيل الأول (جيل الصدمة):

استخدم حوراني نصوص الرواد لمعرفة الفكر وتاريخه، وفق التالي:

رفاعة رافع الطهطاوي (1801-1873م):

ألف كتابه "تخليص الإبريز في تلخيص باريز" بعد أن أقام في فرنسا خمسة أعوام، هذا الكتاب الذي قال عنه الدكتور محمد عمارة: (أول نافذة أطل منها العقل العربي على الحضارة الأوروبية الحديثة)؛ حيث طرح رفاعة من خلاله سؤالاً: كيف بإمكان العالم الإسلامي أن يدخل في عصر الحداثة دون أن يتخلى عن الإسلام؟ وقدّم فيه أطروحةً لخصها حوراني وفق التالي: يجب على الشريعة أن تتلاءم مع واقع اليوم، التربية الصحيحة تقود إلى شعب مؤهل يستطيع أن يشترك في الحكم دون الولوع إلى أحقية الحاكم، ويعود تقدّم الدول وسقوطها كما يرى طهطاوي إلى روح الأمة، والوطنية. ويشير حوراني بأن فكرة القومية المصرية بدت واضحة في فكر الطهطاوي.

خير الدين التونسي (1810-1899م):

الذي تدرّج في مناصب الدولة العثمانية، وقد زار فرنسا وتأثر بالحداثة الأوروبية، ووضع مفهوم التنظيمات الدنيوية التي على العالم الإسلامي أن يتملكها، وإلا غرق بالتخلف والاستعمار من قبل أوروبا. ذكر حوراني أن خير الدين ركّز على دور الدولة في المجتمع، وأنه لا يمكن نجاحها إلا باقتباس الحداثة الغربية، ووضّح بأن طهطاوي وخير الدين اتفقا على ألا تقدّم إلا بالحداثة الغربية، ولكنهما اختلفا في فكرة القومية؛ فقد انطلق طهطاوي من القومية المصرية، بينما انطلق خير الدين التونسي من الأمة الإسلامية.

بطرس البستاني (1819-1883م):

الذي روج لفكرة أن الشرق الأدنى لا ينهض إلا عبر علوم أوروبا الحديثة، فوضع سؤالاً: ما الذي يجب على الشرق الأدنى أن يستعين به من الغرب لكي ينهض؟ وحاول الإجابة عليه عبر اهتمامه بترجمة العلوم التجريبية الغربية إلى اللغة العربية، وحاول استصلاح اللغة العربية لتكون صالحة للعلوم الدنيوية، كما أنه دعا إلى قومية عربية إقليمية.

2. الجيل الثاني (لا تعارض بين الدين والمدنية):

تناول حوراني هنا أبرز رائدٍ من رواد النهضة وهو جمال الدين الأفغاني (1839-1897م)، ويمكن إجمال ذلك في التالي:

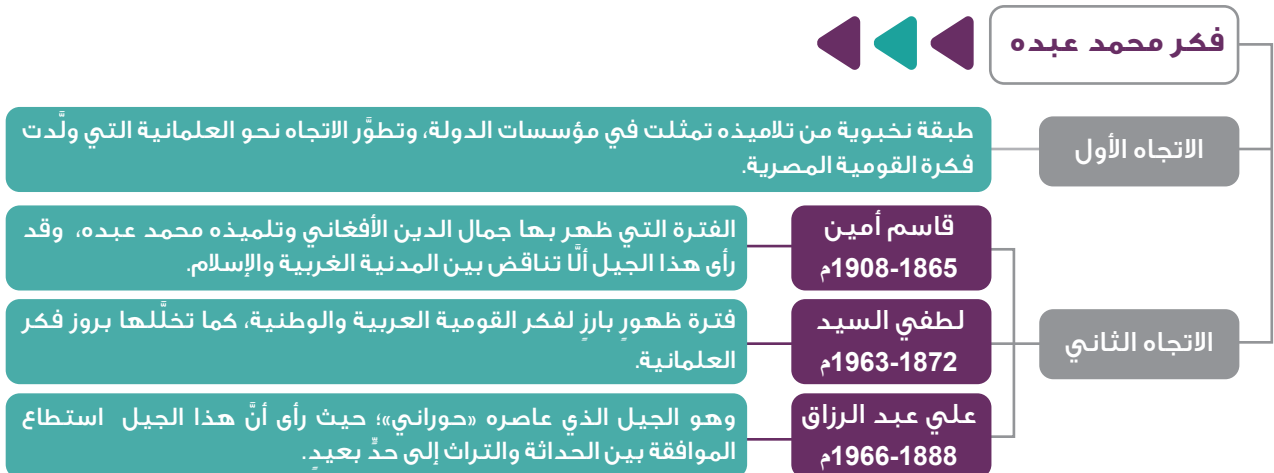
- ◀ حاول الأفغاني الإجابة عن سؤال: كيف باستطاعة المسلمين مواجهة الاستعمار الأوروبي؟
- ◀ دعا للعودة إلى الإسلام الحقيقي.
- ◀ وضع فكرة الجامعة الإسلامية التي تبناها السلطان عبد الحميد الثاني (1848-1918م).
- ◀ نشر أفكاره عبر مجلة (العروة الوثقى) التي أسَّسها في باريس.
- ◀ إضافةً لجولاته في حواضر وعواصم العالم الإسلامي.

يرى حوراني أن السنوات التي قضاها الأفغاني في مصر كانت خصبةً بالأفكار النهضة، وأن فكره حوى فكرة المدنية التي كانت من بذور الفكر الأوروبي في القرن التاسع عشر.

تأثر بالأفغاني محمد عبده (1849-1905م)؛ حيث زعم أن الإسلام الحقيقي لا يتعارض مع المدنية الحديثة، ووضع فكرة المستبد العادل، يقول حوراني: بنى محمد عبده جداراً أمام العلمانية، فكان جسراً لها.

3. الجيل الثالث (المدنية الحديثة):

تحدث حوراني بأن فكر محمد عبده أفرز اتجاهين:



4. الجيل الرابع (السلفية الإصلاحية الإسلامية):

برزت حركة إصلاحية تحمل هذه الأفكار إثر أطروحات الأفغاني ومحمد عبده، تناول حوراني أحد أبرز أعلامها وهو رشيد رضا (1865-1935م) تلميذ عبده.

حاول إعادة إنتاج فكر شيخه ناشراً أفكاره عبر مجلته "المنار" ومؤلفاته المهمة.

لخص حوراني أفكار رشيد بالتالي: إنَّ على الإسلام تحدي العالم الجديد، وأنَّ يستفيد من المدنية الحديثة في أوروبا ليستطيع النهوض، وكان يدعو إلى تعديل المذاهب ووضع شريعة تستند إلى القرآن والسنة ومنسجمة مع العصر الحديث.

5. التيار العلماني:

ظهر تيار علماني ركّز حوراني على أبرز رؤاه وفق التالي:

شبلي الشميل (1850-1917م):

◀ رأى أنَّ العلم هو الدين الجديد، والحاجز الذي سيوقف الديانات القديمة، وأنَّ العلم سيحرر الإنسان، معتقداً أنَّ العلم الحلُّ الأمثل للغز الكون.

فرح أنطون (1874-1922):

◀ طرح فكرة فصل الدين عن الدولة وتحديد أطر العلم والدين وتشبيههما بالعقل والقلب؛ حيث إنَّ العقل وظيفته الملاحظة والاستنتاج، والقلب وظيفته الإيمان بما وجد.

ثم عرّج إلى تأريخ نشوء فكرة القومية العربية التي يُرجعها إلى عوامل التتريك في القرن التاسع عشر، إضافةً إلى أنَّ هناك عوامل عديدة دفعت بها إلى الولادة، من أهمها تلبية متطلبات الشعب العربي في العصر الحديث.

6. الجيل المعاصر:

ركّز حوراني على فكر طه حسين (1889-1973م) معتبراً أنَّ كتابه "مستقبل الثقافة في مصر" قد انطوى على مجمل فكره؛ حيث إنه ادّعى فيه أنَّ مصر جزءٌ من أوروبا، وأنَّ غاية الحياة صنع الحضارة التي تشكّل التوازن بين العقل والدين أهمَّ أسباب تفوق أوروبا؛ فالعقل يحكم المجتمع، والدين يملأ القلوب.

2 الثاني: الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة

رُفد محافظة المكتبة العربية بالعديد من الكتب التي ركّز فيها على الجانب الفكري، منجزاً العديد من الدراسات في هذا المجال. وهو ما يجعل كتابه هذا محل دراستنا.

حاول أن يقدم تاريخاً شاملاً لما أسماه: "عصر النهضة للفترة الواقعة من الحملة الفرنسية عام 1798م إلى بداية الحرب العالمية الأولى 1914م"، فحدّد مجالات أسماها: الاتجاهات الفكرية، حاول أن يحصر في كلّ مجالٍ منها أبرز الحركات والرواد والمفكرين ليؤرّخ بصورة بانورامية فكر النهضة العربي. واهتمّ بالسرد التاريخي، دون التحليل والتفكيك للفكر.

بوّب كتابه في أربعة فصولٍ ابتداءً بالاتجاه الديني، فالسياسي، فالاجتماعي، فالعلمي، وهو ترتيبٌ تنازليٌّ بدءاً بالأهمّ، فالهمّ.

نستعرض أبرز الأفكار التي تناولها محافظة:

◀ أولاً: الاتجاه الديني

اعتبر أنّ الردود الدينية هي أولى الردود التي اهتمّ بها العرب للنهوض، مسلماً أن باب الاجتهاد أقفل من القرن الرابع، ثم استعرض الحركات الإصلاحية من وجهة نظره وفق التالي:

◀ ابن تيمية (1262-1327م):

◀ الذي كان مجدّداً في الفقه، وتلميذه ابن القيم الجوزية (1290-1350م) الذي نشر فكر شيخه.

◀ الدعوات الإصلاحية السلفية:

◀ بدءاً بالدعوة الوهابية ومؤسسها محمد بن الوهاب (1703-1791م) في نجد، والمذهب الشوكاني لصاحبه محمّد بن عليّ الشوكاني (1760-1839م) في اليمن، والحركة السنوسية في المغرب العربي، والمهدية في السودان. وأهمّ المبادئ المشتركة بين هذه الحركات:

◀ الاعتماد على كتاب الله والسنة كمصدرٍ أساسي.

◀ تنقية الدين الإسلامي من البدع والخزعات والعودة إلى نقائه الأول.

◀ الدعوة إلى فتح باب الاجتهاد.

◀ رفض التقليد والدعوة إلى التجديد.

◀ شهاب الدين الألوسي (1802-1893م)، ومحمود شكري الألوسي (1856-1924م) في العراق:

◀ اعتبرهما من التيارات الإصلاحية، غير أنهما لم يقدّما تجديداً؛ إذ كتاباتهم لم تتجاوز ما تمّ كتابته في تلك الفترة.

◀ جمال الدين الأفغاني (1839-1897م) وتلميذه محمّد عبده (1849-1905م) ورشيد رضا (1865-1935م) :

◀ يمثلون تيار التجديد الذي تميّز باعتباره الغرب مثلاً يُحتذى به، وطرح أفكاراً توفيقيةً ما بين الدين الإسلامي والحداثة الغربية، وقد امتاز جمهور هذا التيار التجديديون بأنهم نخبة المجتمع.

◀ ثانياً: الاتجاهات السياسية

إن تقدّم الغرب في النظم السياسية، وما أفرز عن ذلك من تطوُّرٍ صناعيٍّ وقوَّةٍ عسكريةٍ، جعل المثقفين الأتراك والعرب يطالبون بالإصلاحات السياسية، وقد برزت في كتابات خير الدين التونسي وغيره، وزَّع محافظةً أبرز الاتجاهات السياسية في أربع تياراتٍ، وهي:

تيار الجامعة الإسلامية:

◀ هي فكرة جمال الدين الأفغاني (1839-1897م) ليجمع بها الأمة الإسلامية في مواجهة الاستعمار الأوروبي، وقد تبناها السلطان عبد الحميد الثاني (1848-1918م) لينقذ ما أمكن إنقاذه من سقوط الدولة العثمانية.

تيار الرابطة العثمانية:

◀ ذكر محافظة المفكرين الذين رأوا أن الدولة العثمانية هي الوثاق الأمين والجامعة، ومنهم: أحمد عرابي (1841-1911م)، ومصطفى كامل (1874-1908م)، وسليم تقلا (1849-1892)، وأحمد فارس الشدياق (1804-1887م)، وذكر محمد عبده مستدلاً بمقال له، غير أننا نجد محمد عبده في كتابه "الإسلام بين العلم والمدنية" ينافي ذلك.

تيار الوطنية الإقليمية:

◀ ذهب محافظة إلى أن مفهوم الوطنية بدأ بالتشكُّل في كتابات رفاة الطهطاوي (1801-1873م)، فوافق بذلك ما ذهب إليه حوراني، وقد برز المفهوم أكثر في كتابات أحمد لطفي السيد (1872م-1963م)، وقد عبّرت بعض الصحف مثل "المقطم" و"الجريدة" عن الوطنية التي أضحت أكثر ظهوراً مع قدوم بوارج الاستعمار.

تيار القومية العربية:

◀ طرح محافظة أن مفهوم القومية العربية برز لدى الكتاب المسيحيين العرب، ويعود ذلك إلى ظهور القومية الأوروبية، وكردّ فعلٍ على التتريك، وكذلك إيجاد وعاءٍ يجمع المسلمين والمسيحيين العرب على حدٍّ سواءٍ، فلم تكن سوى القومية العربية، وقد برز مفهومها في كتابات سليم البستاني (1848-1884م) وإبراهيم اليازجي (1847-1906م) ويعقوب صروف (1852-1927م) وفارس نمر (1856-1951م).

◀ ثالثاً: الاتجاهات الاجتماعية

حاول محافظة تأطير الاتجاهات الاجتماعية في عصر النهضة، غير أنه لم يوفِّق كثيراً في التأريخ لها؛ نظراً لقلَّة المصادر، وعدم انفتاح الكتابات التاريخية على علم الاجتماع في العالم العربي في حينه، فأرَّخ لأبرز القضايا التي شغلت المفكرين والرؤاد في تلك الفترة، وهي:

تحرير المرأة

الدعوة إلى العدالة
الاجتماعية

الدعوة إلى الحرية
والمساواة

أسباب تخلف
المجتمع العربي

رابعاً: الاتجاهات العلمية

كان للاكتشافات العلمية دورٌ كبيرٌ في تقدُّم وتمدُّن أوروبا من الناحية الاقتصادية والسياسية وغيرهما، وهو ما لاحظته رواد النهضة وبدؤوا يدعون إليه عبر الصحف والمجلات، وقد تطرَّق محافظون إلى ذلك ذكراً المدارس والكلبيات العلمية في مصر وبلاد الشام، ودور محمد علي باشا (1769-1849م) في إنشاء المدارس المتخصصة وابتعاث الطلبة إلى أوروبا، ثم عرَّج إلى دور الصحف والمجلات في ترجمة العديد من الأعمال العلمية إلى العربية، وتناول الأخبار العلمية، وسرد أسماء الأعمال والمؤلفات العربية العلمية لتلك المرحلة في جهدٍ توثيقيٍّ كبيرٍ.

3 الثالث: عصر النهضة.. كيف انبثق؟ ولماذا أخفق؟

لزكي ميلاد العديد من الإنتاج المعرفي؛ منها هذا الكتاب الذي نال جائزة الكتاب السعودي، وقد بُوِّه في خمسة فصول؛ حيث يرى أن الحديث عن النهضة وعصرها إنما هو حاجةٌ دائمةٌ ومستمرَّةٌ، فيقول: "تتأكد الحاجة إلى هذا العصر في ظلِّ ما نلمسه اليوم من انحدار حضاريٍّ خطير"، فأعاد قراءة إشكاليات النهضة العربية مستعرضاً أبرز آراء الباحثين والمفكرين الذين قدَّموا دراسات وأبحاثاً في القرن الماضي عن فكر النهضة العربية، محاولاً استنتاج هذه الدراسات، واستخراج أبرز الأفكار والفرضيات، معتمداً على الدراسات الحديثة التي تناولت عصر النهضة العربية، ومحاولاً الإجابة على سؤال: كيف انبثق عصر النهضة؟ ولماذا أخفق؟

الفصل الأول: حاول زكي الإجابة عن سؤال: كيف انبثق عصر النهضة؟ باستعراض أربع أطروحات:

الأولى

انبثق عصر النهضة إثر الحملة الفرنسية على مصر عام 1798م، أي: وفق مؤثِّر خارجيٍّ، وافق هذه الأطروحة محمد عابد الجابري (1935-2010م)، وألبرت حوراني، وعلي محافظون.

الثانية

ظهر وتشكَّل عصر النهضة نتيجة نهوضٍ ذاتيٍّ في القرن الثامن عشر، تبني هذا الرأي كلُّ من:

الأديب محمود شاكر (1909-1997م): ينسب النهوض الذاتي إلى ظهور أعلامٍ عربيةٍ ظهرت في العالم العربي.

المؤرِّخ الأمريكي بيتر جران: يرى أن مصر شهدت تطوراً ذاتياً على الصعيد الفكري والاقتصادي.

الثالثة

فينفرد بها الدكتور فهمي جدعان الذي يرى بأن عصر النهضة بدأ مع ابن خلدون في القرن الرابع عشر ميلادي.

الرابعة

فإن عصر النهضة انبثق مع ظهور جمال الدين الأفغاني (1838-1897م)، وأن تأثير الأفغاني عبَّل بظهور الحركة الإصلاحية، ويؤيد هذه الأطروحة كلُّ من: مالك بن نبي (1905-1973م)، وحسن حنفي، وعبد الرحمن الرافعي (1889-1966م)، وغيرهم.

نقد ميلاد هذه الأطروحات دون أن يحدد موقفه منها، ورجح أطروحة الأفغاني بطريقة غير مباشرة، مقتصراً في عرضه على الجوانب الفكرية أو الإنتاج المعرفي دون باقي مجالات النهضة، فكان الأجدى في هذا الفصل أن يكون السؤال: عصر الإصلاح.. متى انبثق؟ وليس: عصر النهضة ذات المفهوم الواسع.

◀ الفصل الثاني (المدنية في كتابات رواد النهضة): تتبّع زكي البحث عن التمدّن في كتابات رواد النهضة؛ كون المدنية مصطلحاً استُخدم للإشارة إلى تقدّم أوروبا، وقسّم الكتابات التي تناولت فكرة المدنية وعلاقتها بالدين إلى ثلاثة أزمنة أساسية:

ارتبط برفاعة الطهطاوي وخير الدين التونسي الذّين طرحا فكرة أن الشرع الإسلامي لا يمانع الاستفادة من المدنية في أوروبا؛ فعبر عنها الطهطاوي بالمنافع العمومية، وأطلق عليها خير الدين بالتنظيمات الدنيوية.

الأول

ظهر اتجاه تعارض الدين مع المدنية، فتصدّى له محمد عبده (1849-1905م) مؤكّداً عدم التعارض بينهما.

الثاني

حدّده بداية القرن العشرين، ممثلاً بتلميذ محمد عبده، وهما: محمد فريد (1868-1919م)، والشيخ مصطفى الغلاييني (1886-1944م)، الذّين أكدّا تلاقي الإسلام مع المدنية معتبرين أن مبادئ الإسلام قمة المدنية، مع تحفّظ ميلاد على هذه الفكرة؛ كونها طوباوية عن الواقع والموضوعية.

الثالث

ثم ذهب زكي في بحثه ليوضّح تراجع فكرة المدنية في الفكر العربي، واستثنى من ذلك مالك بن نبيّ الذي استبدل المدنية بالحضارة، كما فسّر هذا التراجع بنظرية القطيعة بين مرحلتي الفكر الإسلامي الحديث والمعاصر.

◀ الفصل الثالث: لماذا تأخّر المسلمون؟ ولماذا تقدّم غيرهم؟ وقف زكي عند سؤالٍ حاول شكيب أرسلان (1869-1946م) الإجابة عنه، فوضع عليه ملاحظاته:

◀ نبّه بقيمة السؤال الذي أصبح متلازماً مع خطاب النهضة العربية.

◀ أفرز هذا السؤال أسئلةً أخرى اختلفت في الصيغة والتقت في المضمون، ومنها: سؤال روجيه جارودي (1913-2012م): لماذا الحضارة الأوروبية استمرّت؟ والحضارة الإسلامية انقطعت؟ وسؤال البوطي (1929-2013م): لماذا تحجّرت الحضارة الإسلامية؟ وازدهرت الحضارة الغربية؟ ◀ إن السؤال ما زال معلقاً وثابتاً رغم مرور ما يقارب مئة عام على طرحه.

ثم عرّج إلى إجابة شكيب وتأثيرها في العالم الإسلامي، وأعطى رأيه في كتابه، ممتدحاً خلود السؤال وحضوره، وأن مادة الكتاب هي بنت بيئته.

◀ الفصل الرابع: لماذا عصر النهضة أخفق؟ حاول زكي الإجابة عن الشقّ الثاني من سؤال كتابه، ورأى أن أكثر من اعتنى بدراسة إخفاق عصر النهضة هم:

حسن حنفي

◀ تحدّث تحت عنوان كجوة الإصلاح فرأى أن الخطّ البيانيّ لفكر النهضة كان تنازلياً.

رضوان السيّد

◀ أيّد ما ذهب إليه حنفي بانحدار خطاب فكر النهضة معتبراً أن محمد عبده أقلّ ثقافة من الأفغاني.

عبدالإله بلقزيز

◀ وافق ما طرحه حنفي والسيد فيما أسماه بلقزيز بالقطيعة بين الخطاب الإصلاحي ممثلاً بـ (الأفغاني، والكواكبي، ومحمد عبده)، والخطاب الصحوي ممثلاً بـ (حسن البنا، وسيد قطب، إلخ)، وأعطى فروقاً بين الخطابين فميّز الخطاب الإصلاحي بكونه دعوةً فكريةً هدفها التجديد، وقوامها تحرير الوعي، بينما خطاب الصحو دعوةً سياسيةً لتكوين دولةٍ وتطبيق الشريعة، ولم يكن نخّبها من المثقفين كالإصلاحيين؛ بل جيشاً من المناضلين المتمسّكين بالفكرة السياسية.

ثم وضع ميلاد ردوداً معاكسةً للأطروحات الثلاثة:

◀ وضع نقدَ القرضاوي الذي سار مخالفاً لما ذهب إليه حنفي؛ حيث يرى القرضاوي أن الخطّ البيانيّ كان تصاعدياً؛ فمحمد عبده كان أقرب إلى الانضباط بمحكّمات الشرع من شيخه الأفغاني.

◀ وضع نقدَ محمد عمارة (1931-2020م) الذي يرى أن السياق التاريخي الذي ظهر فيه رواد النهضة كان مغايراً عن الجيل السابق.

◀ قدّم نقدَ هذه الأطروحات الثلاث؛ حيث يرى أن الخطّ البيانيّ كان متبايناً ما بين الصعود والنزول، وأظهر غياب الفكر الشيعي بين هذه الأطروحات رغم أن رائد النهضة الأفغانيّ كان شيعياً.

◀ الفصل الخامس: استعرض ميلاد ثلاث دراساتٍ بارزةٍ تناولت تأريخ فكر النهضة اشتهرت في القرن الماضي كالتالي:

أسس التقدّم عند مفكّري الإسلام
في العالم العربي الحديث
لفهمي جدعان، الصادر عام
1979م.

المثقفون العرب والغرب.. عصر
النهضة
لهشام شاربي، الصادر عام
1970م.

الفكر العربي في عصر
النهضة
للأبّرت حوراني، الصادر عام
1962م.

فقدّم عرضاً لهذه الدراسات، وقارن بينها ونقدّها، ورجّح وعي فهمي الجدعان، وأنه تفوّق على باقي أقرانه.

مقارنات وملاحظات:

المقارنات:

- ◀ اتفق حوراني ومحافظة على أن لحظة انبثاق فكر النهضة كانت مع الحملة الفرنسية على مصر، بينما تحفظ ميلاد على رأيه مؤيداً أطروحة الأفغانيّ باعثِ فكر النهضة العربية.
- ◀ عاد حوراني إلى كتابات رؤاد النهضة كقاعدة للانطلاق منها في التأريخ، بينما اتخذ محافظة اتجاهاتٍ محدّدة كقاعدة لينطلق منها، أما ميلاد فقد استخدم أبرز الدراسات التي تناولت هذا الفكر من جوانبٍ مختلفةٍ.
- ◀ حاول حوراني تحليل كتابات رؤاد النهضة، بينما ركّز محافظة على السرد التاريخي دون تحليلها، أما ميلاد فحاول تفكيك الدراسات التي تناولت فكر النهضة، وأجاب على سؤال: لماذا أخفق فكر النهضة؟ السؤال الذي غاب لدى حوراني ومحافظة.
- ◀ شمل كلٌّ من حوراني ومحافظة في كتابيهما التاريخ السياسي رغم أن محور الكتابين التأريخ الفكري، بينما تميّز ميلاد بالعناية بالتاريخ الفكري، ولم يعطِ للتاريخ السياسي مساحةً في كتابه.
- ◀ غفل حوراني وميلاد عن رجال الدين أو التيّار السلفي الإصلاحي، بينما تناولهم محافظة في سرديّته، واعتبرهم باكورة فكر النهضة.
- ◀ تناول محافظة الحركات والتيّارات الفكرية، بعكس حوراني وميلاد اللّذين تناولوا الأشخاص على حساب الحركات والتيّارات الفكرية.
- ◀ وقعت الدراسات الثلاث تحت تأثير المشرق العربي وإنتاجه الفكري وإغفال المغرب العربي والجزيرة العربية، وإن كان محافظة تناول بعض الحركات في الجزيرة العربية، إلا أنه لم يتعمّق في مقارنته.

ملاحظات:

- ◀ الأولى: أغفلت الدراسات الثلاث دور الدولة العثمانية الحاكمة في التأثير الفكري والاجتماعي على مناخ الفكر العربي، متبنيّةً أطروحة أن العرب في مصر حدث لهم صدمة حينما دخلت الحملة الفرنسية مصر، وأن الدولة العثمانية عرفت قبل هذا التاريخ تقدّم أوروبا وحدثتها، ممّا أثر على ولاياتها العربية.
- ◀ الثانية: طرحت الدراسات الثلاث بعض الفرضيّات دون اختبار؛ فحوراني وضع فرضية أن الأمة العربية أكثر الشعوب اعتزازاً بلغتها، وأن الأفغاني شيعيٌّ دون استدلال، ومحافظة سلّم بفرضية الفكر الغيبي الجامد والحركة السلفية الإصلاحيّة البرهانية، وأدعى أن باب الاجتهاد أغلق منذ القرن الرابع الهجري دون إثبات، وميلاد سلّم بشيعية الأفغاني دون أن استدلال.

الثالثة: لم تُعبر الدراسات الثلاث الاهتمام بالتحوُّلات الفكرية لرواد النهضة، فمحمد عبده الشاب ليس محمد عبده الكهل، فوضع محافظة محمد عبده مع تيار الرابطة العثمانية لاستدلاله بإحدى مقالاته التي امتدح فيها الدولة العثمانية، بينما محمد عبده كان ضدَّ الدولة العثمانية، ويرى ألاَّ عزَّة للإسلام إلاَّ بالعرب.

الرابعة: لم يخلُ كتاب حوراني من الاستشراق رغم كرهه هذه الصفة؛ إذ يُرجع كلَّ مؤلِّفٍ أو فكرةٍ إلى الغرب باعتبارها الأصل، وما وُجد في العالم العربي فهو تأثيرٌ قادمٌ من الغرب، بينما نجد محافظة وميلاد قد امتزجت كتاباتهما بالحنين إلى النهضة العربية دون أن يتخلَّها تبجيلٌ مبالغٌ فيه.

الخامسة: لم يتمَّ إعطاء مساحة كافيةٍ في الدراسات الثلاث لرجال الدين أو رواد الحركات الإصلاحية السلفية، وإن تمَّ تناولها في كتاب محافظة، إلا أنه لم يتعمَّق في دراستها؛ فاعتباره الشوكاني منتمياً إلى الحركة السلفية يحتاج إلى إعادة نظر، أما حوراني وميلاد فلم يتمَّ تناول رجال الدين المجدِّدين في مقارباتهما.

وأخيراً: تناولت الدراسات الثلاث عصر النهضة من زوايا مختلفة؛ فأرَّخ حوراني للفكر عبر رواد النهضة، بينما تناول محافظة الاتجاهات المختلفة محاولاً التأريخ لكل اتجاهٍ في عصر النهضة، أما ميلاد وهو صاحب الإصدار المتأخَّر، فتناول الدراسات التي نقَّبت في حقل عصر النهضة عبر مواضيعٍ محدَّدة، محاولاً إنشاء مقارباتٍ ومقارناتٍ لمواضيعٍ تناولها الدارسون.

وبعد استعراضنا للدراسات الثلاث موضحين معالمها وأبرز أفكارها، وملاحظتنا عليها، نخلص إلى التالي:

1. دراسة تأريخ الفكر يحتاج إلى الشمولية والدقَّة في تناول النصوص، والحرص على جمع أكبر قدرٍ من كتابات تلك المرحلة.

2. الاستعانة بدراساتٍ فكريةٍ متخصصةٍ برواد النهضة، لكي لا تُفهم الكتابات المدروسة لهذه المرحلة فهماً خاطئاً.

3. العناية بالتحوُّلات الفكرية لشخصيات الدراسة، ومعرفة أسباب التحوُّل وماهيَّتها، في مرحلة الشباب ومرحلة الكهولة لكل شخصيةٍ.

4. تحتاج دراسة الفكر التاريخي إلى معرفةٍ عابرةٍ للتخصُّص في مجالات الفقه واللغة العربية والعقيدة والاجتماع، والاطلاع الواسع على كتاباتٍ أجنبيةٍ عاصرت مرحلة الدراسة المعنية.

5. ما زالت هناك مواضيعٌ عديدةٌ في عصر النهضة العربية تحتاج إلى التنقيب والدراسة واهتمام الباحثين بها.



الصفوة للدراسات الحضارية
Safwa Cultural Studies

معاً نحو
نهضة أمة

f safwacultural

e contact@safwacenter.org

@ www.safwacenter.org